Journal home page: http://journals.lagh-univ.dz/index.php/ssj
ASJP: https://www.asjp.cerist.dz/en/PresentationRevue/305

مجلة العلوم الاجتماعية
المجلد 17 / العـدد 01 / مارس 2023 / ص ص 493 - 509

نحو فهم جدلية العلاقة (فاعل-بنية) - دراسة نظرية سوسيولوجية

The theory practice sociology between Pierre Bourdieu and Bernard Lierre

مريم شريط
جامعة بسكرة (الجزائر) ، nouris_2007@yahoo.fr

تاريخ الاستلام: 2021/10/24 تاريخ القبول: 2023/03/27 تاريخ النشر: 2023/03/31

ملخص:

لكل عالم اجتماع نظرة مختلفة إلى (الفرد-المجتمع) أو (الفاعل-البنية), وهذا باختلاف المرجعيات والمشارب الفلسفية، المنهجية والنظرية، حيث تولي النظريات الاجتماعية التي تعتمد على التحليل الكلي أهمية كبيرة للمجتمع في تفسير العلاقات الاجتماعية وتعتبر أن المجتمع هو من يصنع الفرد، بالمقابل تعطي نظريات مدخل التحليل الجزئي للفاعل الأولية في هذه العلاقة وتعتبر أن له دورا كبيرا في بناء المجتمع، بين هذا و ذاك ظهر اتجاه ثالث يعتمد نظرة توافقية في تحليله لهذه العلاقة، وفي هذا الصدد برزت نظرية العالم الاجتماعي على يد بيير بورديو، نظرية الانسان المتعدد الأبعاد لبيرنار لاييير وأخيرا نظرية التشكيل البنائي لأنتوني غيدنز، التي تحاول تقديم تفسير وفهم لعلاقة الفاعل بالبنية.

وعليه يسعى هذا البحث إلى عرض أهم المرتكزات النظرية لهذه الأطروحات، وذلك بطرح التساؤل:

- ما هي المفاهيم الأساسية لكل أطروحة؟

- كيف يحلل كل من هؤلاء السوسيولوجيين العلاقة: فاعل- بنية؟

وقد انتهت الباحثة إلى أن لاييير يعتبر الفاعل ذا أبعاد متعددة يحمل معه المجتمع بداخله، بخلاف أستاذه بورديو الذي يعتبره ذو بعد واحد من حيث تجانس الاستعدادات التي تحرك الممارسة، فيما يقول غيدنز أن الممارسات المنتظمة عبر الزمان والمكان تتضمن العلاقة الجدلية بين الفاعل والبنية.

كلمات مفتاحية: الممارسة، الهابيتوس، الإنسان المتعدد الأبعاد، نظرية التشكيل البنائي.

ABSTRACT:

Each sociologist has a different view of (individual-society) or (actor-structure), This is due to the different philosophical, methodological and theoretical references and trends. Where social theories that rely on macro analysis attach great importance to society in explaining social relations It considers that society is what makes the individual, On the other hand, the partial theorems of the entrance to the partial analysis of the actor give the primary in this relationship. It is considered to have a major role in building society. Between this and that, a third trend emerged that adopts a consensual view in its analysis of this relationship. In this regard, the theory of the social world emerged from Pierre Bourdieu. The multidimensional theory of man by Bernard Layer Finally, Anthony Githons' structural formation theory, Which attempts to provide an explanation and understanding of the actor's relationship to the structure. Accordingly, this research seeks to present the most important theoretical foundations for these theses, by asking the question:

- What are the basic concepts of each thesis?

- How do each of these sociologists analyze the relationship: subject-structure?

The researcher concluded that Layer considers the actor with multiple dimensions, carrying with him the society within him.

- المؤلف المرسل: مريم شريط

doi: 10.34118/ssj.v17i1.3217
http://journals.lagh-univ.dz/index.php/ssj/article/view/3217

ISSN: 1112 - 6752 | رقم الإيداع القانوني: 66 - 2006 | EISSN: 2602 - 6090

Unlike his teacher, Bourdieu, who considers him one-dimensional in terms of the homogeneity of the preparations that move the practice. Giddens argues that regular practices across time and space include the dialectical relationship between subject and structure.
Keywords: Practice, habitus, multidimensional man, structural formation theory.

1- مقدمة:

يعتبر بيير بورديو من المنظرين المؤسسين لمفهوم الممارسة الاجتماعية الذي ظهر في مؤلفه خطاطة نظرية الممارسة، إلى جانب أنتوني غيدنز في عمله نظرية الهيكلة (التشكيل البنائي)، و بيرنار لايير في انتاجه الموسوم بـ الإنسان المتعدد الأبعاد.... ومن خلال عملية استطلاع الباحثة للأدبيات المتعقلة بموضوع الممارسة السوسيولوجية على مدار سنوات من البحث في إطار الإعداد لأطروحة الدكتوراه، لاحظت في محاولة منها للإطلاع على المراجع التي توصلت إليها والتي كتبت في هذا الموضوع أن هناك اهتماما متواضعا في هذا الشأن من طرف الباحثين، فحتى وإن كانت هناك كتابات في هذا الصدد فهي غالبا ما تتمحور حول بيير بوديو باعتباره أولا سباقا في هذا المضمار، وثانيا يمكن أن نلمس تنوع التناول الذي يعنى بأعمال بورديو نظرا لتنوع مشاربه المعرفية والمرجعية بين الفلسفة الأدب السياسة وعلم الاجتماع... كما هو حال علماء الاجتماع هذا من ناحية. ومن ناحية أخرى حتى وإن كانت هناك كتابات تهتم بالفكر البورديوي فهي في مجال السلطة التربية والعنف وخاصة إعادة الإنتاج ...إلخ، فقلما نجد ما يعنى منها بالممارسة السوسيولوجية على غرار ما ألفه حسن أحجيج، بوبكر بوخريسة وعبد الإله فرح*... على سبيل المثال لا الحصر مع صعوبة الحصول على بعض المراجع.

أما ما كتبه تلميذه برنار لايير في هذا الشأن فلا يزال حديثا لا يحظى بالتأليف النظري و الاسقاط الميداني حسب ما لاحظته، وحتى مع وجود مؤلفات معربة لأنتوني غيدنز فلا يعتمدها الباحثون كثيرا في مقارباتهم النظرية أثناء دراساتهم الميدانية، وهذا ما استدعى أن أحاول في هذا المقال تناول أهم الأفكار للأعمال المتعلقة بنماذج الممارسة الاجتماعية حتى يتسنى للقارئ والباحث في مجال السوسيولوجيا الوقوف على ما يميز كل طرح.

وعليه تم طرح التساؤل الآتي: كيف يحلل كل من بورديو، لايير و غيدنز علاقة الفاعل بالبناء الاجتماعي؟ وما وجه المفارقة بينهم؟

2- مفاهيم البحث:

2-1- الممارسة:

يركز مفهوم الممارسة عند بورديو على علاقة الفاعل بالبناء الاجتماعي، وهي العلاقة التي تنتهي بأن يقوم الفاعلون بإعادة إنتاج هذا البناء، ولا يستبعد بورديو قدرة الفاعلين على تحويل وتغيير البناء، ولكن يستلزم ذلك توافر شروط بنيوية، في ضوء ذلك يعنى بورديو بالممارسة ذلك الفعل الاجتماعي social agency الذي يقوم فيه الفاعلون بالمشاركة في إنتاج البناء الاجتماعي، وليس مجرد أداء أدوار بداخله. ويقول بورديو "...أنه من الممكن استبعاد الذات من تراث فلسفة الوعي دون القضاء عليه (أي الوعي) لصالح البنية. فعلى الرغم من أن الفاعلين نتاج البنية، إلا أنهم صنعوا ويصنعون البنية باستمرار. فعملية إعادة إنتاج البنية هذه بعيدا عن كونها نتاج سيرورة آلية، لا تتحقق بدون تعاون الفاعلين الذين استدمجوا صورة البنية في شكل هابيتوس، حيث ينتجون، ويعيدون الإنتاج، سواء كانوا واعين بتعاونهم أم لا". (بورديو، 1966، ص202).

ولقد ميز بورديو في نظرية الممارسة La théorie de la pratique (1972) الممارسة في الشكل الآتي: الممارسة هي في الوقت نفسه ضرورية ونسبيا مستقلة نظرا للوضعية المدروسة في مباشرتها المنتظمة، لأنها نتاج العلاقة الجدلية بين الوضعية

والهابيتوس، المعتبر كنسق للإستهياءات الدائمة Durables والمتنقلة Transposables والذي يعمل عن طريق دمجه لكل التجارب الماضية في كل لحظة مثل لوحة تسجل عليها الإدراكات والتقويمات والأعمال، ويجعل ممكنا انجاز المهمات التي هي في غاية التباين، بفضل نقلة قياسية للروشمات التي تسمح بحل المشكلات المتشابهة شكلا وبفضل التعديلات المستمرة على النتائج الحاصلة، وهي تعديلات تنجها جدليا هذه النتائج. (أنصار، 1992، ص277).

2-2- الهابيتوس:

يشغل مفهوم الهابيتوس مكانة مركزية في التنظير البورديوي، لذا عده الكثير من شراح بورديو ونقاده أكثر المفاهيم أهمية في سوسيولوجيا الممارسة عنده، وقد عكف بورديو منذ مطلع الستينيات الماضية على إعادة تحديد هذا المفهوم ليجعل منه المفهوم المحوري لمشروعه الفكري وهو مشروع تأسيس نظرية الممارسة، وسيلاحظ القارئ لهذا البحث -من خلال المفاهيم التي سيأتي تناولها- كيف أن تعريف كل المفاهيم المكونة لهذه النظرية لا تستقيم إلا بحضور هذا المفهوم. (حسن احجيج، 2018، ص35).

والهابيتوس هو نسق استعدادات يدخل به الفاعل مجال التفاعلات في حقل ما، والغرض منه هو تزويد الفاعل بنماذج أولية للفعل تمكنه من الاستمرار في خوض الصراعات وتحسين العلاقات داخل مجال معين من أجل السيطرة والهيمنة على ذلك الحقل. (بورديو وباسرون، 2007، ص387).

يتضح أن الفاعلين يحتفظون في مخيلاتهم بمجموعة من الصور في شكل هابيتوس هي أشبه بالبرمجة وعند تفاعلهم في مجال اجتماعي يستجلبون تلك الصور سواء بشكل واع أو لا واع، وهم بذلك يعيدون انتاج البناء الاجتماعي الذي شكل مختلف تصوراتهم، غبر أن عملية اعادة الانتاج مرهونة بشروط مما قد يسمح بتغيير البناء.

2-3- الإنسان المتعدد الأبعاد الجامع):

وهو إنسان حامل مجموعة من الاستعدادات الثابتة والمتغيرة، كما أنه ذات فاعلة يمارس أنشطة الفعل والحركة، وقادر على استثمار نفسه داخل المجتمع الذي ينتمي إليه، ويمتلك بدوره مجموعة من الاستراتيجيات التي تخول له تحقيق مصالحه وأهدافه ضمن الجماعات أو المجموعات التنظيمية في الحياة اليومية. (فرح، 14مايو 2018، دص).

2-4- نظرية التشكيل البنائي:

تركز الفكرة الأساسية لنظرية التشكل البنائي على أن المجال الأساسي لدراسة العلوم الاجتماعية ليس خبرة الفرد الفاعل ولا الكليات الاجتماعية. ولكن الممارسات المنتظمة عبر الزمان والمكان التي تتضمن العلاقة الجدلية بين الفعل والبنية وهذا يعني أن البنى تشكل ممارسات البشر، لكن ممارسات البشر تشكل البنى أيضا. (فياض، 30 يوليو2020، دص).

3- نظرية الممارسة السوسيولوجية عند بيير بورديو

3-1- خطاطة نظرية الممارسة عند بورديو

يتخذ بورديو في نظرية الممارسة موقفا وسطا بين النظرة الذاتية والموضوعية في علم الاجتماع، وانتهى إلى أن العلاقة بين الذاتي والموضوعي علاقة جدلية متداخلة ومتشابكة ومعقدة، وعلى عالم الاجتماع أن يكشف طبيعة هذه العلاقة، وكيف تتولد الممارسة تحت تأثير هذه العلاقة، وحاول بورديو توضيح كيف تتمثل الذات الفاعلة الشروط الموضوعية البنيوية، فأنتج مصطلح الهابيتوس Habitus، وكيف تؤثر هذه الذات في تلك الشروط فأنتج مصطلح المجال Field، بحيث تصبح الممارسة "محصلة العلاقة الجدلية بين الهابيتوس والمجال" أو هي ناتج "تفاعل الهابيتوس والمجال".

الممارسة الاجتماعية عند بورديو فعل تاريخي، موجه من الماضي، فكما تتضافر عدة ظروف لتهاطل المطر فكذلك الممارسة هي محصلة خبرات مكتسبة أو موروثة، تتضافر لتقييم الواقع المعيش، وتحديد طبيعة الفعل الملائم في لحظة ما لخطة الممارسة،

فالممارسة نشاط إنساني يقوم به فاعل Agent يمتلك قدرة على صنع الاختلاف ولكنها ليست قدرة ذات، وإنما قدرة فاعل نشط مكافح، ولذلك فإن الفاعل عند بورديو هو شخص Person محمل بخبرات متراكمة "رأسمال نوعي" يكتسبه خلال عملية التنشئة، يولد لديه مجموعة من الاستعدادات Dispositions تمكنه من ممارسة الأفعال المختلفة في إطار بنية محددة وبشكل تلقائي ولا إرادي في معظم الأحيان.

ولكي يستطيع بورديو كشف طبيعة العلاقة الجدلية بين الفاعل والبنية التي تضمه، قام بتفكيك البناء الاجتماعي إلى مجموعة من المجالات كالمجال السياسي، الاجتماعي، الثقافي، الديني والفني...الخ، وكل مجال من هذه المجالات يحتاج إلى رأس مال نوعي مختلف، والمتفاعلون داخل المجال بالضرورة يملكون استعدادات متفاوتة بتفاوت الرأسمال النوعي الذي يمتلكونه، وبالتالي فإن علاقات القوة داخل المجال التي تحدد حيازة المكانة داخله ترتبط بهابيتوس الأفراد، ويرى بورديو أن الفرد يتعامل مع مجالات ولا يتعامل مع بناء اجتماعي كلي، وتتحدد قدرة الفرد على حيازة المكانة داخل المجالات المتنوعة بمجموعة الخبرات والاستعدادات التي يحملها هابيتوس هذا الفرد.

ولكن بورديو لا يتوقف في نظريته عند مستوى علاقة الفرد بالبناء، فالممارسة الفردية ليست الممارسة الوحيدة القائمة، فهناك ممارسات جماعية قائمة في المجتمع تتم في إطار علاقات القوة، وصور الصراع، والعنف الرمزي داخل المجالات، ويكون موضوع هذه الصور الحيازة، الإزاحة، جزئية، كلية، إن لكل مجال رأس المال النوعي الخاص به الذي يسعى الأفراد، الجماعات، الطبقات إلى امتلاكه والذي يولد لدى الأفراد والفئات استعدادات متفاوتة للممارسة. (بدوي، 2009، ص9-11).

يمكن أن نخلص إلى أن الذات الفاعلة تتمثل الشروط البنيوية الموضوعية في إطار مجال معين وذلك عن طريق الهابيتوس لتقوم بعملية الممارسة.

2-3- المفاهيم المحورية لنظرية الممارسة السوسيولوجية عند بورديو

إن أي نظرية علمية تقوم على مفاهيم أساسية تعتبر الخيط الهادي والمفتاح لقراءتها، ولا يمكن فهم فحوها إلا بالإلمام بها وقد اعتمد بورديو على المفاهيم الآتية:

3-2-1- المجال: Le champ

يترجم البعض كذلك كلمة champ بالحقل، غير أن المعنيين يؤديان نفس الدور. ومفهوم المجال هو مفهوم انتزعه بورديو من معناه العادي الذي يعني قطعة الأرض ليحوله إلى مفهوم له دلالته الخاصة. ويحيل المجال إلى عالم اجتماعي متكامل العناصر، يمتلك من المواصفات تلك التي يمتلكها أي عالم اجتماعي آخر كالسلطة وعلاقات القوة والتنافس والصراع ورأس المال. ويعتبر مفهوم المجال مفهوما إجرائيا ضروريا لفهم الصراعات في الحياة الاجتماعية ولفك ألغاز الواقع الاجتماعي.

وفي مجال العالم المَعيش لا يوجد مجال واحد للتفاعلات الاجتماعية، بل توجد عدة مجالات مختلفة، وهذه المجالات يمكن فهمها في آن واحد كفضاءات مشكلة من الواقع (أو المراكز) التي تتوقف خاصيتها على المكان الذي تشغله في هذه الفضاءات، والتي يمكن تحليلها في استقلال عن مميزات شاغليها (التي تحددها جزئيا).

إن الحقل بهذا المعنى هو فضاء موجود في الواقع، فهو إن كان يرتبط من جهة بالفاعلين والمشتغلين في فضائه، فإنه كذلك يستقل عنهم، بل ويحدد طريقة ممارسة الفعل للمنخرطين في فضائه. ويوجد في كل حقل خاصية تميزه عن غيره من الحقول، فالحقل الاجتماعي مثلا يختلف عن الحقل السياسي، والحقل السياسي يختلف عن الحقل الفني. وتشتغل ميكانيزمات كل حقل في استقلال عن غيره من الحقول وفق منطق اشتغاله الخاص « ففي كل مرة ندرس حقلا جديدا، سواء كان حقل الفيلولوجيا في القرن 19 أو حقل الموضة الراهنة أو الحقل الديني في العصر الوسيط، نكتشف بعض الخاصيات النوعية الخاصة بحقل معين

ونطور معرفتنا بالآليات الكونية للحقول التي تتميز عن بعضها البعض بمجموعة من المتغيرات الثانوية». غير أنه إذا كان كل حقل ينفصل عن الحقول بمميزات تميزه عن طريق منطق اشتغاله الخاص، فإن الحقول ترتبط ببعضها البعض عن طريق علاقة تشابكية تسمح للفاعلين الانتقال من أحدها إلى الأخر. ويسعى بورديو إلى توضيح عوض معنى الحقل فيقول «أُطلق لفظ مجال على مكان اللعبة، أي المجال الذي تقوم فيه علاقات موضوعية بين أفراد أو بين مؤسسات في حالة تنافس لاكتساب مزايا متماثلة. والمسيطرون في هذا المجال الخاص (...) هم أولئك الذين يمسكون من أعلى بزمام السلطة». (بيير بورديو، 1966، ص29).

المجال هو فضاء للصراع، والغرض من الصراع هو الهيمنة على هذا المجال. فالفاعلين مثلا في المجال السياسي يسعون للوصول إلى قمة هرم السلطة السياسية، والعلاقات التي تحدث داخل المجال من علاقات صراع وتحالفات هي من أجل السيطرة والهيمنة على المجال، ومما يحدد مراكز القوة في مجال محدد هو الرصيد الذي يمتلكه الفاعلون في هذا المجال، ويعبر عن هذا الرصيد برأس المال النوعي (الخاص بكل مجال)، وتتعدد أنواع الرأسمال وأهمها هو الرأسمال الاقتصادي والرأسمال الثقافي، فـ«المجال الاجتماعي مبني بطريقة، بحيث يكون الفاعلون أو المجموعات موزعين فيه باعتبار وضعهم في التوزيعات الإحصائية حسب مبدأي التفرقة : رأس المال الاقتصادي ورأس المال الثقافي اللذان هما بلا شك أكثر تأثيرا في البلدان الصناعية كالولايات المتحدة أو اليابان أو فرنسا. (بيير بورديو، 1966، ص29).

إذن نستطيع القول أن المجال هو دائرة للتفاعلات الاجتماعية، فالفاعلون الاجتماعيون الذين ينتمون إلى نفس المجال تحكم علاقاتهم التفاعلية قوانين أنتجها ذلك المجال حيث لا يجوز الخروج عنها، فالصراعات والتفاعلات يجب أن تكون متفقا على كيفيتها داخل المجال من طرف الفاعلين.

3-2-2- الهابيتوس : Habitus

يمكن أن يترجم الهابيتوس بالتطبع أو السجية أو السمت.

مفهوم الهابيتوس من أكثر مفاهيم بورديو إثارة للجدل منذ ظهوره أول مرة في كتاب الممارسة الاجتماعية.

الهابيتوس في معناه العام هو مجموعة من الاستعدادات التي يتربى عليها الأفراد، ويكتسبونها أيضا. والهابيتوس كذلك هو نسق «يعمل وفق آليات داخلية معقدة تكوّن حدود النسق وتشكله، في استقلالية عن محيطه، وتظهر إلى العلن في ممارسات تعبر عن الهوية الاجتماعية لصاحبها وانتمائه. (بورديو، 2009، ص86).

وقد جرى التنظير له أول مرة مع بورديو في كتابه الموسوم بـ خطاطة نظرية الممارسة، وتم استكماله في كتابه الحس العملي. في البداية كان المفهوم يستهدف تجاوز مفهومي الذات والفعل اللذان كانا رائجين في الساحة الثقافية والفكرية الفرنسية، حيث أراد أن يعيد منح قدرة فعل مستقل للذات، لكن دون منحها الحرية التي تعطيها إياها النزعة الوجودية. وعليه يرى بورديو أن الحل في اعتبار العون قد استبطن خلال مختلف عمليات التنشئة مجموعة من مبادئ الفعل التي تعكس البنيات الموضوعية للعالم الاجتماعي الذي يوجد فيه وصارت في نهاية هذا التقمص بمثابة استعدادات مستديمة وقابلة للنقل والتوريث.

ويختصر بورديو هذا المعنى في قوله: "بصفته منتوج التاريخ، ينتج التطبع سلوكيات فردية وجماعية تتوافق مع الخطاطات التي يفرزها التاريخ. إنه يضمن حضورا نشطا للتجارب السابقة التي توضع في كل عضو، في شكل خطاطات إدراك، تفكير وفعل، تميل بشكل وثيق أكثر من كافة القواعد الشكلية والمعايير الصريحة إلى ضمان توافق الممارسات وديمومتها عبر الزمن. ويعتبر حسبه التطبع في ذات الوقت ناتجا ومنتجا، حيث تتميز التطبعات وكأنها: منظومة استعدادات مستديمة يمكن نقلها، وبنيات مبنينة ومهيأة للعمل كبنيات بانية، أي كأنها مبادئ توليدية ومنظمة للممارسات والتمثلات التي يمكن تكييفها موضوعيا مع أهدافها، دون افتراض رؤية واعية للغايات أو تحكم صريح في العمليات الضرورية لبلوغها". (بوخريسة، 2017، ص192-194).

الهابيتوس إذن هو تلك الاستعدادات التي يكتسبها فاعل اجتماعي في حقل ما بشكل لا واعي، والتي تمكنه من التكيف والاندماج في التفاعلات التي تجري في المجال الذي ينتمي إليه. والهابيتوس إن كان عبارة عن مجموعة من الاستعدادات التي تلقن للفاعل، فهو كذلك آلية يمكن تطويرها من طرف الفاعل نفسه (وذلك عند ارتباط الهابيتوس برأس المال النوعي).

والهابيتوس بهذا المعنى آلية تحدد وتتحدد من خلال إعمال الفاعلين عبر التاريخ الماضي وشحن الفرد الجديد بتلك الاستعدادات، فمعرفتنا بالهابيتوس المتعلق بطبقة ما لا تكفي للتنبؤ بما سيقوم به أحد أفراد هذه الطبقة (إما المهيمنة أوالمهيمن عليها) في وقت محدد وفي موقف غير محدد. لأن التنبؤ المضبوط معناه حذف الزمان والواسطة وإعادة تأكيد أولية النموذج على الممارسة العملية. (ليتشه، 2008، ص107).

يشتغل الهابيتوس في فضاء حقل ما، وهو محمول من طرف فاعل اجتماعي، وكلما كان الهابيتوس المحمول أقدر على التكيف مع التفاعلات داخل الحقل الخاص به، كلما كان في إمكان حامله الارتقاء في سلم ذلك الحقل. فالهابيتوس بهذا المعنى هو آلية مساعدة في سبيل الارتقاء والهيمنة على المجال الذي يعمل وفقا له ذلك الهابيتوس.

إن غموض مفهوم الهابيتوس وعدم إمكانية تحديده مطلقا، قد جعل البعض يعتبر خطأ انه الأعمال الروتينية المحددة في الحياة اليومية، أو أنه مرادف لتعبير التنشئة الاجتماعية، ولكنه في الواقع جزء من نظرية بورديو حول الممارسة الاجتماعية ويعني التعبير بوضوح عن الميول في الفضاء الاجتماعي (...) كما أن الهابيتوس هو نوع من التعبير عن استثمار (قد يكون لا شعوريا) لأولئك الموجودين داخل الفضاء الاجتماعي في نقاط القوة المتضمنة فيه. والهابيتوس نوع من القواعد للأفعال –علم نحو الأفعال– يؤدي غرض التمييز بين طبقة (المهيمِنة) وأخرى (المهيمن عليها) في المجال الاجتماعي. (ليتشه، 2008، ص106).

من خلال ما سبق نستنتج أن الهابيتوس يعبر عن عملية استبطان خلال مختلف عمليات التنشئة مجموعة من مبادئ الفعل التي تعكس البنيات الموضوعية للعالم الاجتماعي الذي يوجد فيه وأصبحت بمثابة استعدادات مستديمة وقابلة للنقل والتوريث تحكم الممارسة.

3-2-3- إعادة الإنتاج: reproduction

يعتبر مفهوم إعادة الإنتاج مفهوما جوهريا في نظرية بورديو السوسيولوجية، بل إننا قد لا نبالغ إذا قلنا إن هذا المفهوم «يأخذ مكانا مركزيا ويشكل نقطة تقاطع المفاهيم الأخرى في نظريتهما (بورديو وباسرون) السوسيولوجية، وهذا يعني أن مفاهيم الهابيتوس ورأس المال الثقافي، والعنف الرمزي، والإقصاء الاجتماعي وسلطة اللغة، هي مفاهيم تتمحور حول مسالة إعادة الإنتاج.

إعادة الإنتاج هي استراتيجية يمكن من خلالها لنسق ما أن يحافظ على علاقات القوة التي بداخله، وأن يبين حدوده ويحافظ عليها. وبمعنى آخر فإن إعادة الإنتاج في حقل ما هي تلك الآلية التي من خلالها يمكن للمسيطرين على ذلك الحقل أن يحددوا من خلالها آلية اشتغال الفاعلين داخل ذلك الحقل من أجل أن تظل السيطرة والهيمنة دائما متأتية للمهيمنين على ذلك الحقل.

إعادة الإنتاج إذن هي ميكانيزما وظيفتها استمرارية التراتبية داخل حقل ما، وفي نفس الوقت عزل ذلك الحقل عن الحقول الأخرى وتحصينه ضد دخول أي أعوان من خارجه إلا وفق الشروط التي تحددها آلية اشتغال الحقل نفسه. (وطفة، خريف 2009، ص 178).

من جهة أخرى لا يمكن فهم أو مقاربة نظرية بورديو حول إعادة الإنتاج، أو حتى نمط اشتغال أي نسق، بمعزل عن مفاهيم أخرى تدخل ضمن سياق إعادة الإنتاج وتعتبر آليات يشتغل عليها النسق من أجل إعادة إنتاجه، وهي مفهومي إعادة التأويل وإعادة الترجمة.

ترتبط إعادة التأويل بمنطق اشتغال النسق على حدوده الخارجية حتى يحافظ على خصائصه، فليس بإمكان فاعل اجتماعي من خارج الحقل أن يدخل في مجاله وأن يشترك في العمليات التفاعلية داخله إلا إذا أخذ الحقل أفعال ذلك الفاعل على أنها أفعال لا تتعارض مع معطيات الحقل.

والنسق يفعل ذلك من خلال تأويل وغربلة أفعال الفاعل، فيقبل منها تلك التي لا تتعارض مع منطق اشتغاله ويرفض الأخرى. إن مفهوم إعادة التأويل بهذا المعنى هو مفهوم يحدد من خلاله النسق «علاقته بالمحيط ويحمي حدوده التنظيمية أي استقلاليته من دون خضوع أو تأثر بما يصيبه من تدفقات خارجية».

إن النسق بهذا المعنى بنية غير صلبة بل مرنة، تتفاعل مع غيرها من البنى عن طريق التأثير والتأثر، فتسمح بإعادة التأويل للطلبات الخارجية حتى تتسق مع منطق اشتغال ميكانيزمات النسق نفسه. لكن النسق لا يسمح بإعادة التأويل والانفتاح على الأنساق الأخرى إلا من أجل ترسيخ مزيد من الانعزال والانفصال عن تلك الأنساق وتقوية مجاله الخاص على حساب الأنساق الأخرى.

من هنا تدخل أهمية المفهوم الثاني، مفهوم إعادة الترجمة، فإذا كانت إعادة التأويل ترتبط بمنطق اشتغال النسق على حدوده الخارجية، فان إعادة الترجمة هي تلك الآلية التي يقوي من خلالها النسق آليات اشتغاله الداخلية عن طريق صياغة جديدة للأفعال التي يأتي بها الفاعلون الذين قبلهم النسق سابقا عن طريق إعادة تأويل أفعالهم، فإعادة الترجمة بهذا المعنى «هي آلية نسقية تتمثل في قيام النسق (...) بإعادة صياغة داخلية للطلبات التي قبلها النسق إن كانت طلبات مطابقة لمبادئه، ووفقها باعتبارها معلومات خاصة به يصلب بها بنيته الداخلية فيربط بناه الداخلية بعضها مع بعض وهو معنى الملاحظة الذاتية». (بورديو وباسرون، 2007، ص385).

إذن تعتبر إعادة الإنتاج آلية يمكن من خلالها للمسيطرين على ذلك الحقل أن يحددوا آلية اشتغال الفاعلين داخل ذلك الحقل من أجل الحفاظ على النسق وقوته.

3-2-4- رأس المال النوعي:

يحتل مفهوم الرأسمال النوعي مكانة أساسية في نظرية بورديو السوسيولوجية حول الهيمنة، فرأس المال النوعي هو مصدر مهم من مصادر السلطة، ففي كل مجال من مجالات الممارسة هناك أفراد يمتلكون مزايا غير مادية تجعلهم يتوزعون من خلال امتلاكهم لهذه المزايا (رؤوس الأموال النوعية)، حسب تدرج هرمي. فالسلطة المتحكمة في ذلك المجال يمتلكها أناس لهم رأسمال نوعي أكبر من الذي لدى الفاعلين الآخرين في الحقل.

ويخول رأسمال النوعي أصحابه انتزاع اعتراف الآخرين، إن المهيمنين على الحقل هم أناس فعلوا ذلك عن جدارة واستحقاق حيث يمتلكون مقدارا من رأسمال النوعي لا يمتلكه الآخرون. ويحصل الأفراد على رؤوس أموالهم النوعية عن طريق علاقة معقدة يعطي بموجبها هابيتوسا ما لأحد الأعوان في حقل ما رصيدا يسمح له بالدخول والتفاعل (إما عن طريق التنافس أوعن طريق الصراع) مع الأعوان الآخرين في سبيل امتلاك المزيد من ذلك الرأسمال، وهذا الرأسمال هو الذي تتحدد من خلاله مراتب التدرج الاجتماعي الأولى في الحقل بالنسبة للفرد في الحقل النوعي.

وتوجد عدة أنواع من رأسمال النوعي «وقد ركز بورديو على أربعة أشكال منها هي: الرأسمال الاجتماعي، والرأسمال الثقافي، والرأسمال الرمزي، والرأسمال الاقتصادي. (وطفة، خريف 2009، ص17).

وإذا كان ماركس قد ألف عن الرأسمال وأهميته، فإن بورديو قد انتقل بهذا الرأسمال من صفته الطبيعية الاقتصادية إلى صفة أكثر تجريدا هي رأس المال الرمزي.

إذ يعبر رأس المال الرمزي عن رصيد يمتلكه المهيمنون في مجال ما فهو بمثابة كاريزما تجعل من يمتلكها يعترف له الآخرون بهيمنته، وهذا الاعتراف الطوعي من قبل الأعوان الآخرين هو ما يعطي الشرعية للمراتب العليا التي يتمتع بها المهيمنون، ومن أجل توضيح هذا المعنى لا يدخر بورديو جهدا في العودة إلى فيبر لتعريف الرأسمال الرمزي. لقد وجد في مفهوم الكاريزما قرابة تجعله يقترب في أحيان كثيرة منه ثم يتباين عنه. القرابة تكمن في أن رأس المال الرمزي ليس سوى صورة أخرى لما أسماه فيبر الكاريزما. أما التباين فإن سببه أن فيبر جعل من مفهوم الكاريزما شكلا خصوصيا للسلطة بدلا من أن يجعله بعدا لكل سلطة. لذلك يقترب الرأس المال الرمزي من مفهوم الشرعية أكثر من أي مفهوم فيبري آخر لكونه حالا في كل السلطة أو هو ذات السلطة التي تمارس بها الهيمنة. (بورديو وباسرون، 2007، ص56).

هذا من جهة، ومن جهة أخرى، وبما أن رأس المال الرمزي يحيل إلى سمو المكانة والرفعة والشرف، فهو بذلك يشير إلى "درجات المكانة التي يكتسبها الفرد ويتم التعبير عن هذه المكانة أو القوة الرمزية من خلال علامات التمييز داخل كل مجال، تلك العلامات التي تعمل على إبراز وتأكيد المكانة الاجتماعية. (بدوي، 2009، ص18).

ويشعر الفاعلون الاجتماعيون عن طريق التنشئة وعمليات التربية بوجود رأس المال الرمزي، غير أنهم لا يعترضون على وجوده بصورة أكبر عند الأشخاص الذين يتمتعون بقدر أكبر منه وذلك لأنه أصبح مغروسا فيهم هذا التسليم نتيجة للسلطات التي تحث الآخرين من أجل اندماجهم في الحقل على التسليم بقيمة ذلك الرأس مال الرمزي. يعني هذا القول أن الرأس مال الرمزي هو مجموعة رؤوس الأموال الأخرى وقد تم إدراك أهميتها من طرف الأعوان كقوى تتعزز مكانة المرء من خلال حيازتها، فكل ما كانت حيازة المرء للرأس مال أكبر كلما تدرج أكثر في الهرم التراتبي للمجال الذي يتفاعل فيه مع الأعوان الآخرين. السلطة الرمزية إذن هي قوة لا مادية يعترف بها الفاعلون الاجتماعيون الآخرون، "إن ما يُعطي لكلمات الأستاذ والقول المرجعي قوتها وسحرها، وما يجعلها قادرة على حفظ النظام أو خرقه إنما هو الإيمان بمشروعية الكلمات ومن ينطق بها، وهو إيمان ليس في إمكان الكلمات أن تنتجه وأن تولده. (بورديو وباسرون، 2007، ص58).

وعليه يمكننا القول بأن الرأس مال الرمزي هو تلك الرؤوس الأموال الأخرى (الثقافية، الاجتماعية، الاقتصادية) عندما تتحول إلى قوى رمزية تعطي لأصحابها مكانة رمزية مرموقة.

3-2-4-1- رأس المال الثقافي:

هو ذلك الرصيد الثقافي الذي يحوزه الأعوان الاجتماعيين عن طريق استثمار ثقافاتهم، فهو يعني: مجموعة من المعارف والمهارات النظرية والعملية التي يتمتع بها فرد ما في سياق ثقافة معينة، ويتحدد رأس المال الثقافي في عصرنا هذا عن طريق حيازة الشهادات المدرسية والجوائز المقدمة من طرف المؤسسات الثقافية والتعليمية. ويرتبط الرأس مال الثقافي بالهيمنة عن طريق استخدامه في تثبيت الأوضاع القائمة بالنسبة للمسيطرين، أو في قلب الموازين بالنسبة للطامحين. ويرتبط الرأس مال الثقافي كذلك بالهابيتوس الخاص بالأعوان، حيث "ينتقل إلى الأفراد بطريقين: الأول من خلال الأسرة : فعن طريق الأسرة يكتسب أنماط التفكير والاستعدادات ونظم المعنى، ويكتسب قيما محددة للسلوك، والثاني عن طريق نظام التعليم الذي يعتبره بورديو العائق الثقافي الأكبر، لأنه مسئول عن إعادة إنتاج الأوضاع القائمة. (بدوي، 2009، ص18).

نلخص رأس المال الثقافي في المعارف والمهارات المتنوعة التي يملكها الفرد في سياق ثقافي معين، عن طريق الأسرة ونظام التعليم.

2-4-2-3- رأس المال الاجتماعي:

يتمثل الرأس مال الاجتماعي في: تلك العلاقات التي يقوم بها الفاعلون الاجتماعيون مع غيرهم من الفاعلين في حقل اجتماعي معين. فهو يشكل مجموع المعارف والعلاقات الاجتماعية والصداقات، وهذا الرصيد يمنح صاحبه بالإضافة إلى رؤوس الأموال الأخرى قوة يستعين بها في تفاعله وصراعه في المجال الذي ينتمي إليه. إن الحقل يتشكل من شبكة معقدة من العلاقات الاجتماعية، وهذه الشبكة تضم في ثناياها العديد من الشبكات الأخرى المترابطة، والفرد "عضو في شبكات اجتماعية مختلفة ومتنوعة وهذه الشبكات هي مفتاح الفوائد المادية والرمزية، ولا بد من أن يمتلك رأس مالا اجتماعيا يمكنه من استثمار العلاقات الاجتماعية المتنوعة لزيادة الرأس مال الكلي الخاص به مثل علاقات الجيرة والعمل، والقرابة...الخ" (بدوي،2009، ص18).

يتمثل رأس المال الاجتماعي في تلك المنابع التي يكتسبها الفرد بوصفه عضوا في جماعة من خلال علاقات العمل القرابة الصداقات ...إلخ.

3-4-2-3- رأس المال الاقتصادي:

هو ذلك الكم المتراكم من المقتنيات المادية التي يحوزها الأفراد والتي يستخدمونها في سبيل تقوية مواقعهم في عمليات الصراع والتنافس، ورأس المال الاقتصادي كغيره من أنواع الرأس مال يمكن تنميته، كما أنه يمكن تنمية رؤوس الأموال الأخرى عن طريق الاستفادة من رأس المال الاقتصادي الذي هو من أهم أنواع رأس المال وأكثرها شيوعا. ويعبر عن رأس المال الاقتصادي برأس المال المادي كذلك، "وعندما نفكر في رأس المال المادي فإن ما يتبادر إلى الذهن هو العُدد و الآلات والمعدات والمصانع التي توفر البنى التحتية والسعة التشغيلية لإنتاج البضائع وتقديم الخدمات. (ريفكين، 2009، ص93).

إذن رأس المال الاقتصادي هو الممتلكات المادية التي يحوزها الأفراد.

تعقيب:

نورد بإيجاز ما يؤخذ على بورديو حسب ما لاحظناه:

يمثل الهابيتوس الخطاطات التي تسمح بحل المشكلات المتشابهة شكلا وبفضل التعديلات المستمرة على النتائج الحاصلة، وهي تعديلات تنجها جدليا هذه النتائج.

المواقف الجديدة أو المختلفة غير واردة في طرح بورديو وعدم تركيزه عليها، قد يؤدي إلى فهم أطروحة بورديو لدي البعض بشكل خاطئ مما يتعبره الأفعال روتينية كما سبق ذكره ويصبح مفهوم الهابيتوس لديهم مشابه أو مطابق للروتين.

علاقات التفاعل لا تقتصر على القوة والصراع والعنف التي عبر عنها بورديو في الصراع والتنافس، توجد علاقات تعاون وأخرى منافسة وهي طبعا تختلف عن الصراع وكأن الدافع الأساسي للعلاقات الاجتماعية هو المصلحة الذاتية فقطن وهذا قد لا ينطبق على المجتمعات عالية القيم.

تعرض ما كتبه بورديو للنقد، وعلى رأسهم تلميذه بيرنار لايير الذي سنأتي على ذكره في العنصر الموالي، في L'homme pluriel ينطلق برنارد لاهير لتحديد مفهوم بيير بورديو عن الهابيتوس من خلال تحليل الفرد في الواقع، يشمل تعريف الهابيتوس فكرة نظام التصرفات التي يتم نقلها وتعميمها من مجال ممارسة إلى آخر، وتركز بشكل خاص على التماسك الفردي والجماعي. هذا التماسك إذا أمكن ملاحظته في مساحات اجتماعية معينة، لا يمكن افتراضه كقاعدة عامة لتنظيم العالم الاجتماعي، إنها إذن مسألة التشكيك في فكرة قابلية النقل والتفرد في تصرفات الفاعل.

4- نظرية الإنسان المتعدد الأبعاد عند برنارلاير

سوف نحاول أن نتطرق إلى ما كتبه عالم الاجتماع الفرنسي برنار لايير حول "الإنسان المتعدد" الذي يتميز بصيغة الجمع، في مفهوم الممارسة من خلال التركيز على أهم الأفكار النقدية الموجهة إلى أستاذه عالم الاجتماع الفرنسي بيير بورديو.

برنار لايير أستاذ في علم الاجتماع بكلية المعلمين العليا بمدينة ليون الفرنسية، نشر خمسة عشر مؤلفا منها الإنسان متعدد الأبعاد سنة 1998، وله مؤلفات عديدة منها: ما هي السوسيولوجيا؟، فرانز كافكا، ثقافة الأفراد، الوضع الأدبي، من أجل السوسيولوجيا والتفسير السوسيولوجي للأحلام. (لايير، 2015، صفحة المقدمة).

4-1- سوسيولوجيا الإنسان المتعدد (الجامع) عند بيرنارلاير:

يحاول لايير في كتابه الإنسان المتعدد الإجابة عن السؤال الجوهري: ما هي الشروط الاجتماعية والتاريخية لإنتاج فاعلين متعددين أو بتعبير آخر إنسان جامع؟

يمكن للأفراد حسب لايير، أن يكونوا متجانسين للغاية في بعض المواقف الاجتماعية أو في بعض حالات تاريخية معينة، خاصة إذا واجه الأفراد نفس ظروف التنشئة الاجتماعية مثل آبائهم، حيث لا تكون هناك فجوة كبيرة بين الأجيال من خلال تقاربهم في ظروف التنشئة الاجتماعية، وبدون أن يسقط أحد منهم في تعدد أطر التنشئة الاجتماعية، فهناك مجتمعات تتميز بالوحدة والانسجام لكونها لا تتوفر كثيرا على مؤسسات اجتماعية منافسة للأسرة. وإذا حدث العكس، فإن الأفراد ينتقلون من حالة الوحدة والانسجام إلى حالة التعدد وعدم التجانس.

هذا ولا يمكن بالنسبة إلى لايير الحديث في المجتمعات الحديثة (الغربية) عن انسجام وتوافق على مستوى الهابيتوس الخاص بها، بل عن ظاهرة تعدد أطر التنشئة الاجتماعية التي تساهم في خلق أوضاع متناقضة فيما بينها، لأن تميز الأفراد في الحياة الاجتماعية يخضع أساسا إلى العديد من الظروف والشروط الاجتماعية غير المتجانسة عبر مراحل معينة من حياة الأفراد، فالهابيتوس الخاص بالأفراد لا يكون مستديما وثابتا كما يتصوره بورديو، لأن وجود هابيتوسات ثقافية، باعتبارها أنظمة متجانسة من الاستعدادات حسب لايير، ليس سوى أكثر تواترا من الناحية الإحصائية فقط، فالفرد يكون محددا بشكل متعدد بالتجارب الاجتماعية التي تؤثر عليه طيلة حياته. وبالتالي، فإن أكبر تناقض يميز بورديو أنه وظف الهابيتوس الذي ارتبط بالمجتمعات ذات التنظيم البسيط كنموذج في دراسة المجتمعات ذات التباين القوي والمعقد، والتي بحكم طبيعتها تعمل على إنتاج فاعلين أشد تباينا داخليا وفيما بينهم، بينما كان يفترض أن يبقى استعماله في دراسة المجتمعات الأقل تباينا. (فرح، 14مايو 2018، دص).

4-2- في نقد نظرية الممارسة لبيير بورديو

في فكر بورديو الفاعلون يحددون اختياراتهم تلقائيا بفعل الهابيتوس الخاص بهم، من دون احتسابهم لتلك الإكراهات التي تثقل قراراتهم، وخصوصا ثقل الماضي والتاريخ، وذلك لكونه مدمجا ومؤقلما، ويردف شوفالييه وزميله شوفيري في كتابهما "معجم بورديو" قائلين: «وهكذا نرى بأن مفهوم الهابيتوس لا يهم سوى نوع معين من الممارسة...». (شوفالييه وشوفيري، 2013، ص286).

وهذا ما يؤكده أيضا لايير في كتابه "عالم متعدد الأبعاد" قائلا: ليس التطبع بوصفه نسق استعدادات مستديمة وقابلة لاتخاذ موقع جديد سوى من حالات الممكن، حالة خاصة بين مجمل المخزونات الفردية من الاستعدادات والكفاءات القابلة للملاحظة، فلا يمكننا أن نفترض كما يرى بورديو أن كل الاستعدادات مستديمة. (لايير، 2015، ص33).

لقد تمت مؤاخذة بورديو دائما على الحتمية التي ارتبطت بمفهوم الهابيتوس، مع أنه نوه على الدوام إلى هامش اللعب المحتمل من طرف الهابيتوس، والذي يسمح للفاعل بالارتجال في الفعل، وبالمحافظة إجمالا على ضبط السلوكات. (شوفالييه وشوفيري، 2013، ص286).

وفي هذا يرى لايير أن العلوم الاجتماعية أمنت لفترة طويلة بفكرة تجانس الإنسان مع المجتمع وحتى عندما يقبل الباحثون تعدد التجارب المعيشة أو الأدوار المستبطنة من قبل الفاعل فإنهم غالبا ما يفترضون مسبقا أن خلف هذا التعدد أساسية (ذات متماسكة وموحدة) قيد العمل. (كابان ودورتييه، 2010، ص301).

فلقد حاول بورديو في إطار نظرية الممارسة أن يقدم مشروعا توفيقيا بين النظرة الذاتية والنظرة الموضوعية للعالم الاجتماعي، من أجل توضيح كيفية تمثل الأفراد الفاعلين للشروط الموضوعية البنيوية، وذلك من خلال المعادلة الآتية: (الهابيتوس)+(الرأس المال) + الحقل = الممارسة

ويرى بورديو أنه من أجل فهم الممارسة الاجتماعية والثقافية لدى كل طبقة اجتماعية ضمن الحقل الاجتماعي، لابد من العودة إلى "الهابيتوس" Habitus الخاص بالأفراد الذين ينتمون إلى طبقة اجتماعية منسجمة مع ذاتها، ويقول في هذا الصدد: «...يجب العودة إلى مبدأ الممارسات الموحدة؛ أي إلى الهابيتوس الطبقي كشكل مندمج من أشكال الظرف الطبقي والتكييفات التي يفرضها؛ يجب إذن، أن نبني الطبقة الموضوعية كمجموعة من العملاء الموضوعيين ضمن ظروف وجود متجانسة، والخاضعين لتكييفات متجانسة والمنتجين لأنساق من الاستعدادات المتجانسة الخاصة بتوليد ممارسات موحد». (فرح، 14مايو 2018).

يعارض لايير سوسيولوجيا بورديو في كتابه الذي يحمل عنوان: "عالم متعدد الأبعاد" Monde pluriel، قائلا: «إذا كانت سوسيولوجيا بورديو عن الاستعدادات لم تتمكن من الاستكشاف المنهجي للآثار الفردية لتعدد مجالات النشاط أو أبواب الفعل، فإن هذا إنما يرجع، بما يشكل مفارقة، إلى أنه فكر في أفراد متجانسين في عالم غير متجانس. وبدلا من مراعاة آثار تعدد الأطر الاجتماعية على الصوغ الاجتماعي، تصرف غالبا كما لو أن فاعلا تشكل اجتماعيا بالفعل (ضمنيا في أسرته الأصلية) قد واجه مواقف غير متجانسة». (لايير، 2015، ص111).

يكمن تناقض بورديو في أنه يؤكد أن العالم الاجتماعي غير متجانس ويقوم على التمايز، إلا أنه فكر في فاعلين متجانسين داخل العالم الاجتماعي، فأن تمتلك استعدادا في نظر بورديو «معناه أن تكون ميالا إلى التصرف بانتظام وبطريقة معينة في ظرف معطى، فالاستعداد هو نظام يميل إلى بناء سلوكيات الفاعلين وذلك بفرض إطار لأفعالهم، حيث تكون ممارستهم داخل الحقل خاضعة للحتمية. وعليه، فإنه اختصر التجربة الإنسانية في خضوعها لتأثير الطبقة المسيطرة التي تمتلك الرأسمال المادي والرمزي، وقام بإهمال عامل التجربة الاجتماعية الذاتية وتأثيرها على خيارات الفرد الثقافية، ولم يراع تعدد السياقات التي تؤثر في الممارسة لدى الفاعلين الاجتماعيين.

لقد سعى لايير أثناء اشتغاله على سوسيولوجيا بورديو إلى تحديد أمرين مهمين ضمن أهدافه العلمية: «أولهما استيعاب درجة تجانس أو تنافر الاستعدادات التي يحملها الفاعلون الأفراد، في ارتباط مع مسارهم البيوغرافي وتجاربهم المدمجة اجتماعيا؛ وثانيهما، تحليل تمفصل الاستعدادات والسياقات التي تعمل فيها، أو بلغة أخرى، فحص مسألة "الاستعدادات ضمن شروطها..."؛ ذلك أن لايير كان يخالف بورديو في نظرته للفاعل الاجتماعي، باعتباره ذا بعد واحد من حيث تجانس الاستعدادات التي تدفعه إلى إعادة إنتاج علاقات الهيمنة المشكلة للحقول الاجتماعية. (فرح، 14مايو 2018).

يهدف لايير إلى بلورة فكرة جديدة عن وجود فاعلين غير متجانسين ومتناقضين، بسبب تعدد التجارب التي يحملونها معهم، فهو يرفض وحدة الذات لدى الفرد، ويقول: «المشاهدة تبدي أن الفاعلين يدمجون مبادئ مختلفة للفعل، بل ومتناقضة أحيانا. يمكن للفرد ذاته أن يكون خلال مدة حياته على التتالي، أو بشكل متواقت بحسب السياق، طالبا في المدرسة، ابنا، أبا، صديقا، عشيقا، حارس مرمى، صبيا، زبونا، مديرا، مقاتلا... وفيما يتجاوز اللعبة البسيطة للأدوار الاجتماعية، فإن هذا التباين يحيل إلى تنوع أنماط التنشئة الاجتماعية...» . (كابان ودورتييه، 2010، ص301).

وهذا ما يعني أن بورديو في نظر لايير لم يراع تعدد السياقات التي يعيشها الفرد، وبالتالي نجد لايير يقترح ضمن رؤية مجددة لسوسيولوجيا بورديو أن تقوم على التعددية، لا تقبل بالحد أو المنطق الواحد في التفسير، بمعنى أن تأخذ بعين الاعتبار أحكام وسياقات الكشف عن الاختلاف والتمايز أثناء تفسيرها للممارسة وفق المعادلة الموالية التي يضعها لايير:

استعدادات + السياق = الممارسة

وتهدف هذه المعادلة التي يقترحها لايير، من حيث عموميتها وبساطتها، إلى أن تكون بمثابة خيط رابط ونقطة أساسية يمكن من خلالها العمل على إعادة الحوار والتواصل بين العلوم الإنسانية والعلوم الاجتماعية، بالرغم من الاختلاف البارز بين هذه العلوم التي تتخذ مواقف متناقضة تفترض أن وجهة نظرها أفضل من وجهات النظر الأخرى في تحليل وتفسير كل ما هو إنساني واجتماعي، أو كما يقول لايير بأن: «فهم الممارسات أو أشكال السلوك (الإشارات، المواقف، الأقوال) عبر إعادة بناء لأنماط الاستعدادات الذهنية والسلوكية المختزنة التي يحملها الفاعلون (وهي نتاج لاستبطان خبرات اجتماعية ماضية) ولخصائص السياقات الخاصة (طبيعة الجماعة أو المؤسسة أو مجال النشاط، نمط التفاعل أو العلاقة) التي يتطورون ضمنها، هو، في رأيي، السبيل الأصوب والأكثر تركيبا والأكثر إثمارا من الناحية العلمية الذي يسع الباحثين استخدامه». (فرح، 14مايو 2018).

4-3- الممارسات بين الاستعدادات والسياقات

يجد لايير في كتابه "عالم متعدد الأبعاد" أن كل باحث يجتهد للتوصل إلى نقطة توازن تفسيري بين دراسة خصائص الفاعلين الاجتماعية المختزنة من جهة ودراسة الخصائص الاجتماعية الموضوعية للبيانات من الجهة الأخرى إنما يجمع لا محالة بين استعداديه وسياقية، حيث أن فهم الممارسات أو أشكال السلوك (الإشارات، المواقف، الأقوال) عبر إعادة بناء لأنماط الاستعدادات الذهنية والسلوكية المختزنة التي يحملها الفاعلون (وهي نتاج لاستبطان خبرات اجتماعية ماضية) ولخصائص السياقات الخاصة (طبيعة الجماعة أو المؤسسة أو مجال النشاط، نمط التفاعل أو العلاقة) التي يتطورون ضمنها، هو الطريقة الأنسب من الناحية العلمية الذي يسع الباحثين استخدامه حسب رأيه. (لايير، 2015، ص19).

ويمكن طرح الصيغة الموجزة للمقاربة العلمية في: استعدادات+ سياق= ممارسات

إن الممارسات المنظور فيها (كاختيار غذاء، لباس، رياضة..) لا تتضح إلا إذا درسنا من جهة القيود السياقية الضاغطة على الفعل (ما يتطلبه السياق أو ما ينتظره من الفاعلين)، ومن جهة أخرى الاستعدادات التي تتشكل من الناحية الاجتماعية والتي يدرك الفاعلون الموقف انطلاقا منها، ويتمثلونه انطلاقا منها أيضا، والتي يتصرفون على أساسها في هذا الموقف، وضمن صيغة كهذه، ندرك أن الممارسات إن كانت قابلة للرصد والتسجيل من حيث كونها حقائق واقعية حاضرة، وأنه إن كانت قابلة للإظهار الموضوعي من جانب الباحث بالنظر في قواعد عملها، وخصائص عملها النوعية، وطبيعة العلاقات التي تتضح فيها (والتي تجعل السياق المدرسي مختلف عن السياق الديني) فإن الاستعدادات لا تتضح بالمقابل على نحو مباشر وتحيل إلى ماضي الفاعلين الذين ندرس حالاتهم. وهكذا يمكن طرح الصيغة نفسها بالشكل الآتي:

ماض مختزن+ سياق حاضر= ممارسات قابلة للملاحظة. (لايير،2015، ص20-21).

إن المقصود بالماضي المختزن هو كل ما يدخله الفاعل في مسرح الفعل، كل ما يدين به لمجمل التجارب التي عاشها والتي تبلورت فيه على شكل قدرات واستعدادات للفعل والشعور والاعتقاد والتفكير قوية ومستديمة إلى هذا الحد أو ذاك، ويصف الباحثون سيرورات تشكل الاستعدادات والكفاءات (القدرات) بأنها سيرورات صوغ اجتماعي، ويتحدثون عن خبرات صوغ اجتماعي عندما يريدون التشديد على ما تطبعه سياقات الفعل المعيشة التغير والتحول والتعديل على الفاعلين، ومن ثم فإن الماضي المختزن

هو نتيجة لتواتر الماضي المبكر-المستديم، المنهجي إلى هذا الحد أو ذاك المترتبة على سياقات فعل مختلفة (أسرية، مدرسية، مهنية، دينية، سياسية، ثقافية، رياضية...إلخ).

نتاجات مستبطنة لتواتر الماضي لسياقات الفعل+ سياق حاضر= ممارسات يمكن ملاحظتها.

وهذا يعني أن السياق الحاضر للفعل يمكن النظر إليه من وجهتي نظر مختلفتين: من حيث كونه الإطار الذي يطلق الاستعدادات المختزنة. أو أيضا من حيث كونه الإطار الذي يحقق الصوغ الاجتماعي للفاعلين.

وحين يكون الفاعلون المعنيون أطفال، نرى على الفور بأي قدر تعد سياقات الفعل سياقات صوغ اجتماعي أيضا، ومن ثم أطرا تتشكل ضمنها كفاءات أو ميول أو عادات ذهنية وسلوكية.

ومع أن الباحثين الاجتماعيين نادرا ما يفكرون في الأطفال فإن التواتر المتكرر لبعض سياقات الفعل له أثر من حيث دوره في خلق الصوغ الاجتماعي (أي الاستعدادات). (لايير، 2015، ص22-23).

وسواء تحدث الباحثون عن: استعدادات أو عادات أو ميول أو اتجاهات أونزوعات أو نزعات أو قدرات أوكفاءات أوآثار من الذاكرة أو تصورات أو عرف أخلاقي أو تطبع، فإنهم يجتهدون في أن يأخذوا في حسبانهم الحقيقة العلمية الجلية المتمثلة في اختزان الناس نتاجات خبراتهم الاجتماعية.

إن الإنسان حيوان اجتماعي من حيث قدرته من الناحية البيولوجية –بما يتمتع به من دماغ وشبكة عصبية- على تذكر أوتخزين أو بلورة نتاجات خبراته سواء كانت موجهة بشكل صريح أو غير سافر نحو تحصيل المعارف.

ولو كان الناس غير قادرين على الاختزان اللاواعي، بالمقابل التذكر عبر مجهود يبذل عن وعي، فربما لم تكن العلوم الاجتماعية لتكون بحاجة إلى برنامج سياقي، فسيكون بوسعها الاكتفاء بأن تكون علوم سياقات اجتماعية، وبذلك تكون تصرفاتنا قابلة للتفسير بمجرد تحديد السياق.

بداية إن خبرات اجتماعية متشابهة قد تتبلور على شكل قدرات أو كفاءات تسمح بالقيام بأشياء معينة، وهذه القدرات أوالكفاءات يستجلبها الفاعلون تطبيقيا حين تتطلب المواقف ذلك فمثلا قدرات الحساب أو الطهي أو الرقص، هي كلها معارف تطبيقية مكتسبة (في مخزون كفاءات الأفراد) تنتظر المواقف التي تتطلبها تطبيقيا، وإذا ما تدرب المرء بانتظام على إحداها، فإن هذه القدرات تبقى سليمة وقد تتحسن، أو قد تصبح أكثر تركيبا، لكن قلة كثافة الممارسة لها أيضا يجعلها أقل رسوخا وحيوية.

على أن كل ما نختزنه لا يأخذ دوما شكل قدرات أو كفاءات، وعندما تكون هذه الخبرات قد صاغت لدى الفاعل عادات خاصة في مجال السلوك أو الفعل أو رد الفعل فإن هذه العادات تصبح استعدادات، أي أن الفاعل يصبح بحكم خبرته الماضية مستعدا لأن يرى (الرأي) أو يشعر(الاتجاه) أو يتصرف بشكل معين بدل آخر بناء على الميل أو الاتجاه إلى الاعتقاد أو التفكير أوالتطرق أو الحكم على الأشياء. (لايير، 2015، ص23-24).

تعقيب: نستنتج أن سوسيولوجيا لايير ترى أن الانسان متعدّد القراءات والتأويلات، يساهم في التأثير على البنية من خلال أفعاله ويتأثر بدوره بفعل الظروف والشروط الاجتماعية، وهو حامل مجموعة من الاستعدادات الثابتة والمتغيرة، و هو الإنسان الذي يعيش في إطار المجتمعات الحديثة التي تقوم على التمايز الاجتماعي، وهو ما يجعله قابل للقراءة المتعددة ضمن التحليل السوسيولوجي الفردي الذي يهدف أساسا إلى تحديد عناصر الفعل ضمن وضعية معينة لدى الفاعل على الرغم من صعوبة الأمر.

وفي سياق نظريات الاتجاه الثالث قدم أيضا أنتوني غيدنز نظرية تفسر نشأة وإنتاج النظم الاجتماعية وتستند إلى تحليل كل من البينة والفاعلين دون إعطاء الأولوية لأي منهما على الآخر، وهذا ما سنتعرض إليه في العنصر القادم.

5- نظرية التشكل البنائي لأنتوني غيدينز:

5-1- المفاهيم المركزية للنظرية:

يتخذ غيدنز في كتابه "تشكيل المجتمع" موقف المستاء تجاه الانقسام القائم في النظرية السوسيولوجية بين البنائية الوظيفية وعلم الاجتماع التفسيري، ويؤكد بأن الفروق بينهما ليست معرفية كما تداولها في العلوم الاجتماعية، ولكن أنطولوجية ولهذا تسعى نظرية التشكيل لوضع نهاية لهذا الانقسام، حيث تقترح أن المجال الأساسي لدراسة العلوم الاجتماعية ليس خبرة الفاعل الفرد، ولا أي شكل وجودي للكليات الاجتماعية ولكن الممارسات المنتظمة عبر الزمان والمكان. (الحوراني، 2008، ص67-68).

فهو يصر على أن المجتمع ينتجه ويعيد إنتاجه فعل البشر، ويرفض أي شكل من أشكال التفسير البنائي أو أي تصور يفضي إلى أن المجتمع يمكن أن يكون مستقلا عن أفراده، ورأيه هذا يشتمل على رفض لأي تفسير يخلع عن المجتمع أو النسق الاجتماعي خصائص طارئة أو يتحدث عن المجتمع أو الموقف الاجتماعي بصفته عاملا محددا لفعل البشر.

تركز الفكرة الأساسية لنظرية التشكل البنائي على أن المجال الأساسي لدراسة العلوم الاجتماعية ليس خبرة الفرد الفاعل ولا الكليات الاجتماعية. ولكن الممارسات المنتظمة عبر الزمان والمكان التي تتضمن العلاقة الجدلية بين الفعل والبنية وهذا يعني أن البنى تشكل ممارسات البشر، لكن ممارسات البشر تشكل البنى أيضا. (فياض، 30 يوليو2020).

وتشكل مفاهيم: البناء، النسق وازدواجية البناء جوهر نظرية التشكيل البنائي:

- البناء: "تلك الخصائص البنائية (القواعد، الموارد) التي تسمح بعقد الصلة بين الزمان والمكان في إطار النسق الاجتماعي، وهي خصائص تجعل من الممكن للممارسات الاجتماعية الملاحظة والتي يمكن تمييزها بصعوبة نظرا لشدة تشابهها أن توجد عبر مجالات زمانية ومكانية مختلفة، وتضفى عليها شكلا منتظما".
- الأنساق الاجتماعية: يقصد بها الممارسات الاجتماعية التي يعاد إنتاجها، أو "العلاقات التي يعاد إنتاجها بين الفاعلين أوالجماعات، تلك العلاقات التي تنتظم كممارسات اجتماعية مطردة"، والأنساق الاجتماعية ليست لها أبنية، ولكنها تتصف بخصائص بنائية ويتجلى البناء في الأنساق الاجتماعية "في الممارسات التي يعاد إنتاجها ويطوقها الزمان والمكان"، "وفي بقايا الذاكرة الموجهة أفعال الإنسانيين الذين يتمتعون بمعرفة كفؤة"، ويربط غيدنز البناء (كقواعد وموارد) بكل من المستويات الكبرى (الأنساق الاجتماعية) والصغرى (الذاكرة)، ويرى أن هذا التكامل مهم حيث يقول: "أحد الافتراضات الأساسية لنظرية التشكيل البنائي هي أن القواعد والموارد المعتمدة في إنتاج وإعادة إنتاج الفعل الاجتماعي هي في نفس الوقت وسائل إعادة إنتاج النسق (ازدواجية البناء)". (الجوهري، 2002، ص367).
- البنية: يعني غيدنز بمصطلح البنية شيئا مختلفا تماما عما يعنيه المصطلح عند الوظيفية البنائية أو الماركسية البنيوية، فهو يعرفها على أساس "قواعد ومصادر" ومفهوم القاعدة هو الأكثر أهمية، وفي أطول مناقشة لـ غيدنز لما يعنيه بالقواعد في كتابه "تكوين المجتمع" 1984، يذهب إلى أن أبرز القواعد الأساسية هي شبيهة بتلك التي تحكم المتواليات الحسابية مثل: 2، 4، 6، .... حيث لا يجد أحد صعوبة في متابعة تلك المتوالية غير أننا لو أردنا اكتشاف القاعدة التي تحكم المتوالية الحسابية البسيطة لاقتضى ذلك إعمال الفكر، وقد تجد صعوبة في التعبير عنها وهذا شأن القواعد التي نتبعها حين نتكلم إذ يندر أن نعرفها. (كريب، 1999، ص150).

ويحاول غيدنز ربط مفهوم القوة (تحليليا) بالفكرة المركزية لنظرية التشكيل وهي ثنائية البنية التي يوضحها على النحو التالي: إن الفاعل و البنى لا يمثلان نوعين منفصلين من الظواهر التي تمثل ثنائيات متعارضة ولكن ازدواجية، وحسب ثنائية البنية

فإن الخصائص البنائية للأنظمة الاجتماعية تمثل في آن واحد وسيطا ونتاجا للممارسات التي تعيد تنظيمها باستمرار، إن البنية ليست خارجية بالنسبة للأفراد فهي رموز في الذاكرة ويتم إقرارها في الممارسات الاجتماعية، فهي داخلية أكثر منها خارجية بالنسبة لنشاطاتهم، وبذلك فإن البنية لا تعرف فقط من خلال ما تفرضه من قيد، ولكن تعرف دائما من خلال التقييد والتمكين، فهي بذات الوقت تقيدنا وتمكننا من فعل أمر ما. (الحوراني، 2008، ص67-68).

2-5- نظرية التشكيل البنائي: الفاعل والبنية أية علاقة

يتخذ غيدنز من الأنشطة الاجتماعية نقطة البداية بالنسبة له، حيث يصر على أن تلك الأنشطة متكررة ولا تظهر إلى الوجود بواسطة الفاعلين الاجتماعيين، لكنها تتجدد من خلال الوسائل الفعلية التي يعبرون بها عن أنفسهم كفاعلين، ويقوم الفاعلون في أنشطتهم ومن خلالها بإنتاج الظروف التي تجعل هذه الأنشطة محتملة الحدوث، بالتالي فإن نقطة البداية الأنطولوجية عند غيدنز ليست الوعي –أي التشكيل الاجتماعي للواقع- وليست هي البناء الاجتماعي، وإنما الجدل بين الأنشطة والظروف التي تحدث في الزمان والمكان.

ويهتم غيدنز بالوعي أو الانعكاسية إلا أن الفاعل بانعكاسيته لا يكون واعيا بذاته فحسب، ولكنه يراقب أيضا التدفق المتواصل للأنشطة والظروف، وقد أتاحت أنطولوجية الزمكان لـ غيدنز بدراسة التمييز بين الظواهر الكبرى والصغرى بطريقة تاريخية وديناميكية.

ويبدأ غيدنز كما أشرنا آنفا بالفاعلين الذين يراقبون أنشطتهم بصفة مستمرة إضافة إلى بيئاتهم الاجتماعية والطبيعية، ويكون الفاعلون أيضا قادرين على الترشيد أو تطوير العمليات الروتينية التي يصبحون بموجبها قادرين على الفهم المتواصل لأسباب أفعالهم، ولدى الفاعلين دوافع تحتوي هذه الأخيرة على الرغبات التي تحث على الفعل إلا أن معظم أفعالنا في رأي غيدنز لا تحركها الدوافع بشكل مباشر –والدوافع لا شعورية بصفة عامة- إلا أنها مهمة بالنسبة للسلوك الإنساني، وفيما يتعلق بالوعي يميز غيدنز بين الوعي الخطابي (القدرة على التعبير عن الأشياء بالكلام) والوعي العملي (ما يتم القيام به دون القدرة على التعبير عنه بالكلام).

ويرى غيدنز أن الوعي العملي له أهمية خاصة بالنسبة لنظرية التشكيل البنائي، وهو الاهتمام الذي تشترك فيه تلك النظرية مع النظريات الصغرى الذاتية مثل التفاعلية الرمزية والمنهجية الشعبية، وهو نفس الاهتمام الذي تتجاهله النظريات الكبرى مثل الوظيفية البنائية والبنيوية.

وينتقل غيدنز من الفاعلين إلى الفعل أي الأشياء التي يقوم الفاعلون بها، ولا يتعلق الفعل بنوايا الفاعلين بل بما يقومون به فعلا: "يتعلق الفعل بالأحداث التي يصوغها الفرد ... وما حدث لم يكن ليحدث لولا تدخل فيه الفرد"، وقد اجتهد غيدنز ليفصل بين المقاصد والأفعال ليوضح أن ما ينتهي له الفاعلون غالبا ما يكون مختلفا عما يقصدونه. (الجوهري، 2002، ص366-367).

إن مفهوم التشكيل البنائي يقوم على فكرة مؤداها أن تشكيل الفاعلين والأبنية ليسا ظاهرتين مستقلتين (أي ثنائية) ولكنهما تمثلان ازدواجية.

فالخصائص البنائية للأنساق الاجتماعية هي بمثابة وسيلة ونتيجة للممارسات التي تنظمها بصورة متكررة أو بعبارة أخرى إن لحظة إنتاج الفعل هي أيضا لحظة إعادة إنتاجه في سياق الأحداث اليومية للحياة الاجتماعية. كما أن البناء ليس خارجا عن الفاعل فهو موجود في بقايا كل من الذاكرة والممارسات الاجتماعية، وقد أوضح غيدنز بشكل حاسم أن "البناء دائما ما يعيق الفرد عن تحقيق ما يريده من ناحية، ويمكنه من تحقيق ما يريده من ناحية أخرى"، وبذلك يختلف غيدنز عن دوركهايم في مفهومه للبناء الذي يعتبر-أي دوركهايم- أن البناء يعيق الفرد عن تحقيق ما يريده. (الجوهري، 2002، ص368).

وعليه لقد ذهب غيدنز وراء مشروع التكامل بين الظواهر الكبرى والصغرى، حيث قدم تحليلا مفصلا لعناصره المتعددة مركزا على طبيعة العلاقة التبادلية بين الظواهر. بهذا رفض مقولة الوضعيين بأن حقيقة المجتمع موضوعية مستقلة كما لم يقبل النظرة المثالية التي تقتصر حقيقة المجتمع في المعنى.

من خلال ما سبق يقوم مفهوم التشكيل البنائي على فكرة مؤداها أن تشكيل الفاعلين والأبنية ليسا ظاهرتين مستقلتين (أي ثنائية) ولكنهما تمثلان ازدواجية. لأن خصائص الأنساق هي بمثابة وسيلة ونتيجة لممارسات الفاعلين وهذه الخصائص تنظم ممارسات الفاعلين بصورة متكررة.

6- خاتمة ونتائج الدراسة:

خلاصة القول بأن العلم يحمل صفة التراكمية التي أدت إلى ظهور النظريات العلمية حيث تقوم النظرية على لبنات سابقتها، ويمثل ما كتبه العلماء محل الدراسة بخصوص نظرية الممارسة تراثا علميا غنيا يستدعي قراءته لمرات عدة، وتوظيفه في الدراسات الميدانية. ظهرت نتاجا إلى الجدل القائم بين الاتجاه الكلي والجزئي.

حيث تأتي النظريات التي تناولها هذا المقال ضمن الاتجاه التوفيقي والتي تعتبر أن موضوع الدراسة في علم الاجتماع ليست خبرة الفاعل اليومية ولا البنى الاجتماعية بل شكل التفاعل والممارسة اليومية. ويتفق العلماء الذين درسناهم على أن الفاعلين الاجتماعين ينتجون ممارسات يومية ويعيدون انتاجها بشكل مستمر.

ولقد لاحظنا أن نظرية بورديو حول الممارسة تتلاءم مع حقبة زمنية معينة ومع مجتمعات ذات خصائص متجانسة كما هو الحال في المجتمعات التقليدية والقبلية والبسيطة التعقيد، كما أنها لا تركز على المواقف الجديدة بالتحليل أو المواقف الطارئة أو ذات المؤثرا او المتغيرات المتعددة.

وبالرغم من أن نظرية التشكيل البنائي زمنيا ظهرت مع ظهور عمل بورديو حول الممارسة الاجتماعية، في إطار نظريات الحداثة غير أن فعالية هذه أو تلك ترتبط بتوظيفها حسب شروط معينة.

فقد تنطبق نظرية التشكيل البنائي لأنتوني غيدنز مع مجتمعات الحداثة وما بعدها شأنها شأن نظرية زميله لايير وتبقى لكل مجتمع خصوصيته من ناحية الضبط والقيم وموجهات السلوك بين الإكراهات والممّكنات التي تبني الممارسات والأفعال وتعيد بناءها.

وبخلاف بيير بورديو يقدم لايير نظرية الإنسان جامع في أفعاله وممارساته تبعا للشروط والظروف الاجتماعية التي يخضع لها، لأن سلوكيات الفاعل في المجتمعات الحديثة ليست دائما متوقعة.

كما يتوقف فهمنا وتحليلنا لأطروحات كل من هؤلاء وكما هو الحال في العلوم الإنسانية على مفاهيم علم النفس حيث يستعمل مثلا غيدنز ولايير الذاكرة والوعي واللاوعي، كما يعتمد مفهوم الهابيتوس والعادة لدى بورديو.

- قائمة المراجع:

احجيج، حسن. (2018). نظرية العالم الاجتماعي: قواعد الممارسة السوسيولوجية عند بيير بورديو. ط01. المغرب: مؤمنون بلا حدود للنشر.

أنصار، بيار. (1992). العلوم الاجتماعية المعاصرة.. ط01. بيروت: المركز الثقافي العربي.

بدوي، أحمد موسى. (2009). ما بين الفعل والبناء الاجتماعي، مجلة إضافات. العدد الثامن. بيروت: مركز دراسات الوحدة العربية، ص ص 9- 28.

بوخريسة، بوبكر. (2017). سوسيولوجيا بيير بورديو: تحليل في النظرية والمفاهيم والمنهج. ديوان المطبوعات الجامعية.

بورديو، بيير وباسرون جان كلود. (2007). إعادة الإنتاج. ط01. بيروت: المنظمة العربية للترجمة.

بورديو، بيير. (1966). أسباب عملية: إعادة النظر بالفلسفة. طرابلس. الدار الجماهيرية للطبع والنشر.

بورديو، بيير. (2007). الهيمنة الذكورية. بيروت. المنظمة العربية للترجمة.
الجوهري، محمود. (2002). قراءات معاصرة في نظرية علم الاجتماع. القاهرة: مطبوعات مركز البحوث والدراسات الاجتماعية.
الحوراني، عبد الكريم. (2008). النظرية المعاصرة في علم الاجتماع. ط1. دار مجدلاوي.
ريفكين، جيريمي. (2009). عصر الوصول. ط01. بيروت: المنظمة العربية للترجمة.
فرح، عبد الإله. (14مايو 2018)، مقال الكتروني برنار لايير وسوسيولوجيا الإنسان المتعدّد. مؤمنون بلا حدود للدراسات والنشر.
فياض، حسام الدين محمود. (30 يوليو2020). نظرية التشكيل البنائي لدى أنتوني جيدنز, مجلة العوم الانسانية والاجتماعية. المجلد4. العدد 7، 33. ص ص 29-51.
كابان، فيليب ودورتييه جون فرانسوا. (2010). علم الاجتماع: من النظريات الكبرى إلى الشؤون اليومية. ط01. دمشق: دار الفرقد.
كريب، ايان. (1999). النظرية الاجتماعية من بارسونز إلى هابرماس. الكويت: عالم المعرفة.
لايير، بيرنار. (2015). عالم متعدد الأبعاد تأملات في وحدة العلوم الاجتماعية.. ط01. بيروت: المركز القومي للترجمة.
ليتشه، جون. (2008). خمسون مفكرا أساسيا من البنيوية إلى ما بعد الحداثة. بيروت: المنظمة العربية للترجمة.
وطفة، علي اسعد. إعادة الإنتاج، مجلة إضافات، العدد الثامن، خريف 2009، بيروت: مركز دراسات الوحدة العربية، ص ص 17- 178.